نظرية المكان في فلسفة ابن سينا

تأليف
حسن مجيد العبيدي

مراجعة وتقديم
الدكتور عبد الأمير الأعسم

الطبعة الاولى ١٩٨٧.

طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»
حقوق الطبع محفوظة
تعنون جميع المراسلات
لرئيس مجلس ادارة الشؤون الثقافية العامة
العنوان:
العراق ـ بغداد ـ اعظمية
ص.ب. ٤٠٣٢ ـ تلكس ٢١٤١٣ ـ هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

تقديم الكتاب

حظي ابن سينا في العصر الحديث بدراسات جادّة ومهمّة؛ فتناوله باحثون اوربيون بالاستناد الى النصوص اللاتينية، وبحث فيه مستشرقون كثيرون اعتماداً على قراءات اولئك الدارسين وعلى مراجعات نصوص عربية غير منشورة، ثمّ درسه باحثون عرب في قراءة نقديّة توفّرتْ فيها عناصر الموازنة بين نصوص اوروبية موروثة تقليدية ونصوص عربية جديدة لابن سينا كُشِفَ عنها في النصف الثاني من هذا القرن، فازدهرت الدراسات السينويّة الأصيلة في مجالاتٍ من فلسفته؛ وسيكون لها الاثر الكبير في شيوع الدرس السينوي أكاديمياً على نحوٍ مستمر لعقود من الزمان، لكي تأتي كلُّ جهود الباحثين في الفلسفة العربية ـ الاسلامية بنتائج عالية القيمة في بيان الآثار العميقة لدور العرب في ثقافة الغرب وفلسفته عامةً في العصر الوسيط وعصر النهضة والعصر الحديث وصولاً الى اعمال الفلاسفة المعاصرين. وهذا كلّه، في المستقبل، سيزيل في تقديري الاعتقاد السائد في جامعاتنا ومراكزنا الاكاديمية بأنّ ابن رشد وحده هو الذي كان مؤثّراً في اوروبا الوسيطة من خلال الشروح اللاتينية على نشرات نصوص ارسطوطاليس. لكنّ الحقيقة العلمية اليوم تكشف باستمرار عن الأضرار التي تركتها مباحث الأوروبيين، وعلى الأخص المستشرقين؛ لأنّ العناية التي أولَوها للنصوص الفلسفية كانت تتلازم مع الارث اللاتيني وصلته بالفلسفة اليونانية.

لكنّ الامر يبدو مختلف المضمون في تصوّراتنا؛ فكما أثّر ابن رشد من خلال «الرشدية»، فقد كان هناك من الآثار العميقة في قراءات الفلاسفة الوسيطيين من اطلاعٍ مباشر على الكندي والفارابي والغزّالي. لذلك، فالكشف الدائم عن هؤلاء الفلاسفة العرب الكبار، وعلى القمّةِ منهم ابن سينا، ومن خلال نصوصهم العربية المستجّدة بمعرفة

الباحثين بها؛ سيؤدّي بلاشك الى دراساتٍ مُعَمّقَةٍ تُلغي قراءات و آراء السابقين التي حصرتْ أعمال الفلاسفة العرب بقوالب أوروبية، حتى وان كان الباحثون عرباً، ويالللأسف!

من هنا، نلاحظ الأهمية البالغة لهذا الكتاب الذي بين أيدينا؛ فقد تحمّل مؤلّفُه الشاب عبء قراءة تفصيلية وجادّة وشاملة لفلسفة ابن سينا في نصوصه العربية، وبنى على اساسٍ من ذلك كلّه «نظرية المكان» في فلسفته؛ خصوصاً بعد أن فتح له الأستاذُ الدكتور محمد عاطف العراقي الأبوابَ على مصاريعها لدراسة فلسفة ابن سينا الطبيعية من خلال دراسته الجادّة قبل حوالي عشرين عاماً؛ فعلى الرغم من المحاولات المدهشة التي بذلها آخرون، لكنها لاترقى الى مافعله العراقي، حتى جاء جيل جديد من محبي الفلسفة العربية ـ الاسلامية ليدرسوا موضوعات مجتزأة، فيفحصونها فحصاً مجهرياً على نحو مانجدُ في هذا الكتاب.

إنّ مراجعتي لهذا الكتاب، منذ كان فكرةً حتى استوى على هذا الشكل، تجعلني، دونما تحيّز، أراهُ من المحاولات الموصوفة بالمشقّة والصعوبة والسبل الشائكة؛ وُفِقَ المؤلف، بصبره ومتابعته ومواصلته وحسن اختياره لمصادره و مراجعه، توفيقاً يفصحُ عن درايةٍ بالنص، وفهمٍ نقدي، وأمانةٍ علمية تؤشّر الى مواضع الثقّة في نفس الباحث بلا أدنى ريب. على أني آمل ان يكون نشر هذا الكتاب فاتحةً طيبة لدراسات فلسفية في التراث الفلسفي العربي من قبل السيد حسن مجيد العبيدي، وباباً واسعاً له لدراسات أكاديمية رصينة؛ متمنياً له التوفيق الدائم.

بغداد ـ
١١ آب ١٩٨٦

الدكتور عبد الأمير الأعسم
أستاذ الفلسفة
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

الاهداء..

الى..
الروح الطاهرة، الى أمي...
عسى أن تسر به، وهي بجوار ربها

شغل ابن سينا (٣٧٠ ـ ٤٢٨ هـ = ٩٨٠ ـ ١٠٣٧ م)[١]، الدرس الفلسفي الاكاديمي، منذ زمن ليس بالقريب، اذ اتجهت اليه الابحاث الفلسفية والعلمية للباحثين العرب[٢] بشكل يلفت النظر ويسترعي الانتباه. اذ تناولتْ هذه الدراسات فلسفته بالبحث والتحليل، وركزتْ على جوانب معينة من فلسفته، كالجانب النفسي[٣]، والجانب الاخلاقي[٤]، والاجتماعي والسياسي[٥]، كذلك تناولتْ الجانب الميتافيزيقي[٦]، والتصوف[٧] والشعر[٨]، والجانب الطبيعي[٩]، مع ملاحظة ان الجوانب الاخرى من فلسفته لم تدُرس الا قليلا، كالجانب المنطقي[١٠]. وعلى الرغم من توفر المصادر الاساسية في هذا الجانب، نجد البحث العلمي مقصرا في دراسته الى الآن. اما الجانب الطبيعي، الذي بحثه الأستاذ الدكتور محمد عاطف العراقي منذ اواخر الستينات، فقد اوضح فيه اهمية دراسة مباحث فلسفة ابن سينا في الحركة والتناهي والزمان والمكان والخلاء والعلة والمعلول وغيرها من الموضوعات الطبيعية. وفي رأيي المتواضع ان بيان ذلك بجلاء، يبرز دور الفلاسفة العرب في تطوير الفلسفة الطبيعية على نحو جاد ازاء الفلسفات الاخرى؛ كما يوضح اهميتهم في ارساء قواعد البحث الفلسفي الرصين.

ولعل ماتقدم ذكره يبين الباعث الاساسي الذي دعاني الى دراسة احد هذه الموضوعات، اقصد موضوع نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، وهو موضوع جديد لم يُبحث بعد في الدراسات العربية المتخصصة على نحو تفصيلي، حسب علمي، سواء أكان عند ابن سينا او عند غيره من الفلاسفة العرب الاخرين.

ومن البواعث الاخرى كذلك، ان ابن سينا هو الوحيد من بين الفلاسفة العرب الذين سبقوه، قد ارسى اسس نظرية متكاملة عن المكان والخلاء بسطها في كتابه الشفاء

تفصيلا، وفي كتبه الاخرى ايضا، كما سنرى. اضافة الى ذلك، ان له في هذا الموضوع آراء نقدية متميزة ولاجل بيان طبيعة دراسة المكان عند ابن سينا، فاني قسمت الكتاب الى اربعة فصول:

الفصل الاول ،مهدت فيه بدراسة مكثفة لمباحث المكان والخلاء قبل ابن سينا، محاولا القاء الضوء على موقف الفكر الانساني قبل الفلسفة من المكان، ثم بيان موقف الفلسفة اليونانية والعربية من الناحية التاريخية للافكار، بمثابة مقدمة ضرورية للدخول في صلب الموضوع.

ودرست في **الفصل الثاني**، العوامل الفاعلة في المكان، والتي لها علاقة مباشرة به، وهي (الجسم الطبيعي، والحركة والزمان)، مبينا الصلة الجدلية بينهما. وقصدت منه ايضاح فكرة المكان من الناحية التركيبية للفلسفة الطبيعية عند ابن سينا.

اما **الفصل الثالث**، فقد تناولت فيه بالتحليل، نظرية ابن سينا في المكان، وقصدت منه بناء نظريته على اساس نزعته النقدية من مذاهب الفلاسفة الاخرين، على الرغم من وضوح تأثره احيانا بنزعة ارسطوطاليس النقدية في هذا المجال.

وفي **الفصل الرابع**، درست، مشكلة تتصل بموضوع المكان اتصالا وثيقا، شغلت الفكر الانساني، قديما وحديثا، الا وهي مشكلة (الخلاء)، وجوده او عدم وجوده في العالم. فقد درست بالتحليل موقف ابن سينا من هذه المشكلة، والتي اجاد اجادة تامة في تحليلها ونقدها، باتجاهين اولهما اتجاه طبيعي، وثانيهما اتجاه عقلاني، داحضا وجود خلاء في العالم او خارجه، ثم ختمت الكتاب بخاتمة كما يقتضي ذلك في طبيعة البحث.

وقد اعتمدت في تأليف هذا الكتاب، على المصادر الاساسية لابن سينا، ورجعت اليها مباشرة،[11] خصوصا كتاب الشفاء (السماع الطبيعي) وكذلك (النجاة) و (الاشارات والتنبيهات)، و (عيون الحكمة) و (التعليقات)، اضافة الى رسائله الاخرى؛ ولم اسقط من ذهني ماكتب عن ابن سينا في الدراسات الحديثة في هذه المسألة بالذات، لاسيما في حالة الاختلاف في رأي او تصحيحه او مقارنته.

بعد كل هذا، اتمنى ان اكون قد وفقت في اختيار موضوعي هذا، وبيان مكانة ابن سينا الفلسفية ضمن نطاق التراث العربي المجيد، وما اضافه الى التراث الفلسفي من اسهامات جادة في هذا المجال.

ولايفوتني في هذه المناسبة الاّ ان اتقدم بالشكر والعرفان الى كل من امدني بالعون في انجاز هذا الكتاب؛ وأخصّ بالذكر الاستاذ عبد الأمير الاعسم الذي تجشّم عناء مراجعة وتقديم هذا الكتاب، وكذلك الاساتذة الدكتور حسام الآلوسي والدكتور ناجي التكريتي والدكتور عرفان عبد الحميد على مازودوني به من نصائح وارشادات كان لها اعظم الاثر في تقويم بحثي. ومن الوفاء ان اذكر فضل الاستاذ الدكتور ابراهيم مدكور، رئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة، الذي ارسل اليّ نسخة من كتاب السماع الطبيعي من الشفاء، وفضل الاستاذ الدكتور كامل الشيبي الذي اعارني بعض المصادر المهمة من مكتبته الخاصة، وأخيراً فضل الاستاذ اسامة النقشبندي، امين المخطوطات في المتحف العراقي، الذي قدّم لي كلّ المساعدة في الاطلاع على مخطوطات ابن سينا.

لهؤلاء الافاضل جميعاً، ولدار الشؤون الثقافية العامة الشكر والامتنان لما قدموه لي في اعداد وانجاز ونشر هذا الكتاب.

حسن مجيد العبيدي

١٩٨٦/٨/٤